Journal of the Faculty of Arts (JFA)

Volume 80 | Issue 4 Article 8

10-1-2020

The Naqāʾiḍ in Pre-Islamic Poetry BetweenQays bin al-Khaṭīm and ʻAbd Allāh bin Rawāḥah as a Verbal Duel.

Hamad Obaid Al-Ajmi
Lecturer, Department of Arabic Language and Literature, Kuwait University, State of Kuwait

Follow this and additional works at: https://jfa.cu.edu.eg/journal

Recommended Citation
Al-Ajmi, Hamad Obaid (2020) "The Naqāʾiḍ in Pre-Islamic Poetry BetweenQays bin al-Khaṭīm and ʻAbd Allāh bin Rawāḥah as a Verbal Duel.," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 80: Iss. 4, Article 8.
DOI: 10.21608/jarts.2020.135392
Available at: https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol80/iss4/8

This Original Study is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

نقائض قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة
على ضوء مفهوم المبارزة اللفظية(*)

المؤلف الرئيس:

د/ حمد عبيد العجمي

مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الكويت، دولة الكويت

المؤلف الثاني:

د. محمد بدر القناعي

مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الكويت، دولة الكويت

الملخص

ندرس في هذا البحث نقائض قيس بن الخطيم الأوسي وعبد الله بن رواحة الخزرجي خلال حروب الأوس والخزرج في الجاهلية، مستعينين بمفهوم المبارزة اللفظية (verbal dueling) عند وارد باركس Ward Parks. وسنتناول نقيضتين وندرس كل واحدة منهما ليس بوصفها خطابا شخصيا فحسب، بل بوصفها خطابات سياسية عامة أيضا تعكس تصور القبيلة لسياستها ومكانتها مقابل القبيلة الخصم والقبائل الأخرى. لذلك سنحتاج إلى تحليل كل نقيضة على مستويين. المستوى الأول: يعتمد على تحليل موضوعات القصيدة ذاتها، أما المستوى الثاني: فيعتمد على تحليل السياق الخارجي ونعني بذلك النظر إلى الأخبار والأحداث التاريخية المرتبطة بأيام الأوس والخزرج للحصول على فهم أفضل للنقائض بين قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة، وللأوضاع السياسية في المدينة (يثرب) قبل مجيء الإسلام. وقد مكنتنا هذه الدراسة من التوصل إلى نتائج عدة، من أهمها التعرف على المكانة السياسية التي تمثلها كل من قبيلة الخزرج وقبيلة الأوس.

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٠) العدد (٨) أكتوبر ٢٠٢٠.**

Abstract

The Naqāʾiḍ in Pre-Islamic Poetry Between Qays bin al-as a Verbal Duel. Khaṭīm and ʻAbd Allāh bin Rawāḥah

In this project, we study the poetic "duels" (i.e., *naqāʾiḍ* or counter-poems) between two pre-Islamic poets: Qays bin al-Khaṭīm from the tribe of al-Khazraj and ʻAbd Allāh bin Rawāḥah from the tribe of al-Aws. We investigate two poems by each poet using the Ward Parks concept of verbal dueling. Moreover, we attempt to analyze each poem and its counter-poem not merely as isolated texts, but as political speech that reflects the political agenda of each tribe. Therefore, this study tries to explore both poet's view of their tribe's political status and political relationship with its rival. Accordingly, we study each poem's motifs and in light of the historical record of the war between the two tribes (i.e., al-Khazraj and al-Aws). The research arrived at some new findings, among which that the poetry of *naqāʾiḍ* between the two poets reflected the political and social status of their tribes.

مقدمة

كلمة النقائض لغة تعني نقض البناء أي هدمه، أو نقض الحبل أي حله. والمناقضة في الشعر هي أن ينقض شاعر كلام شاعر آخر، والنقيضة مفرد وجمعه نقائض. هذا من حيث معنى كلمة النقيضة لغة. أما

اصطلاحا فمعناها أن يتوجه شاعر إلى شاعر آخر يهجوه أو يفخر عليه، فيبدأ الشاعر الآخر بالرد على الأول ملتزما في معظم الأحيان ذات البحر والقافية والروي، فعمل الشاعر الثاني هو نقض كلام الأول. ومن أهم الدراسات التي تناولت موضوع النقائض دراسة أحمد الشايب عن تاريخ شعر

النقائض عامة. ورغم أهمية دراسته، إلا أنه لم يركز على تحليل نقائض الأوس والخزرج تحليلا فنيا للخطاب الشعري وانعكاساته، ولم يدرس الشايب كل نقيضة مقابل نقيضتها، وكذلك لم يستعن بالسياق التاريخي المتناثر في كتب التاريخ وكتب الأخبار (انظر الشايب، ١٩٦٦). ولا يقلل هذا من أهمية دراسة الشايب للنقائض إذ كان لعمله يد السبق في هذا المجال. إلا أن جلّ همه توفير مادة تجمع النتاج الشعري للنقائض في الأدب العربي.

وإضافة إلى دراسة الشايب، فإن أغلب الدراسات التي تناولت موضوع النقائض في الشعر العربي القديم كانت مركزة على النقائض في العصر الأموي، خاصة لما يسمى بالثالوث الأموي الفرزدق وجرير والأخطل، أما النقائض في الشعر الجاهلي فلم تنل حقها من الدراسة الدقيقة. ونشير هنا إلى بعض الدراسات كبحث محمد زروق الحسن علي الذي قدم بحثا بعنوان: "نقائض العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة السلمي". ولكن هذه الدراسة كانت دراسة وصفية اقتصرت على دراسة حالة الشاعرين في قبيلتيهما والموضوعات التي تطرقا إليها. وقد تميزت دراسة علي بمحاولة فهم قصائد النقائض بين ابن مرداس والسلمي على ضوء الأحداث التاريخية المرتبطة بالشاعرين (علي، ٢٠١٣: ٣٧٧-٤٣٣). أما الدراسات التي ركزت على نقائض الأوس والخزرج فهي قليلة، أهمها دراسة عبد الرحمن محمد الوصيفي في كتابه: "النقائض في الشعر الجاهلي" الذي خصص فيه فصلا لنقائض الأوس والخزرج. لكن مما ينقص دراسة الوصيفي أنها مجرد إعادة تدوين لتلك النقائض وتقديم وصف سطحي لها بالإضافة إلى اقتطاع أبيات معدودة من القصائد من غير تحليل أو ربط بين القصائد وسياقاتها التاريخية (انظر الوصيفي، ٢٠٠٣: ٩٧-١٠٢). أما دراسة عبد الرحيم محمود أحمد حسن عيسى بعنوان: "نقائض الأوس والخزرج" فقد امتازت بأمور كثيرة كتتبع الباحث لأيام الأوس والخزرج ومحاولة تصنيف تلك الأيام حسب التسلسل التاريخي. كما وضع الباحث ملحقا في بحثه يضم كل نقيضة ونقيضتها، فقدم جهدا جيدا في جمع الأبيات لتظهر كل

قصيدة بشكلها الكامل، مع ملاحظات اختلاف الروايات (انظر عيسى، ٢٠٠٦). وامتازت دراسة عيسى كذلك بمحاولته تحليل النقائض بين الأوس والخزرج بشكل إحصائي لأنواع الأساليب المستخدمة في النقائض. أما ما ينقص تلك الدراسة أن الباحث لا يحلل قصيدة بكاملها مقارنة بنقيضتها، ولا يبحث في أسباب تنوع الأساليب.

أما بحثنا هذا فيعنى بتحليل كل نقيضة مقابل نقيضتها، مع مراعاة التأثير السياسي والاجتماعي الذي توفره لنا السياقات التاريخية للأحداث بين الأوس والخزرج. وتستعين هذه الدراسة بمفهوم المبارزة اللفظية عند وارد باركس. وقد سبقنا الباحث حسين أبو الفرج في رسالته للدكتوراه المعنونة: "Omayyad Poetry As Verbal Duel" "الشعر في العصر الأموي بوصفه مبارزة لفظية"، ولكن "أبو الفرج" ركز على بعض النقائض وقصائد المدح في العصر الأموي (See Abulfaraj, 2011)، ولم يتطرق للنقائض في العصر الجاهلي سيما نقائض الأوس والخزرج. ولذلك جاءت دراستنا لتركز على نقائض قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة، لأننا نرى بأنها أولى بالدراسة على ضوء مفهوم المبارزة اللفظية إذ إنها تعد من أقدم القصائد في مجال النقائض.

نجد في المصادر ثلاث قصائد لقيس بن الخطيم يفخر فيها بقومه ويهجو خصومهم من الخزرج ونجد لكل قصيدة من القصائد الثلاث نقيضة لعبد الله بن رواحة يجيب فيها قيس بن الخطيم وينقض كلامه. وتلك النقائض بين ابن الخطيم وابن رواحة كانت ضمن يوم الفضاء ويوم حاطب من أيام الأوس والخزرج. ومن الملاحظ أن قيس بن الخطيم هو الذي يبدأ بالهجوم في كل النقائض الثلاث فيأتي رد عبد الله بن رواحة دفاعيا. إننا من خلال هذه الملاحظة نحاول أن نطرح فرضية ونحاول تدعيمها أولا، ببعض الروايات التاريخية للوقائع بين الأوس والخزرج، وثانيا، بالتركيز على بعض الأبيات التي تؤيد الفرضية. وتنص هذه الفرضية التي نطرحها على أن الأوس في يثرب وما

جاورها كانوا بمثابة الثائرين على سلطة الخزرج، إذ أن اليد العليا في السيادة للخزرج. ويمثل خطاب قيس بن الخطيم خطاب الثوار (الأوس وحلفائهم من قبائل اليهود). أما خطاب عبد الله بن رواحة فيمثل خطاب الجماعة التي تمتلك السلطة وزمام الأمور. وسنكتفي بمناقشة قصيدتين لكل شاعر وسنترك القصيدة الثالثة لأن نقيضة عبد الله بن رواحة الثالثة التي يجيب فيها قيسا جاءت مبتورة ففقدت كثيرا من أبياتها.

سوف نستعين بوظائف الكلام في مفهوم المبارزة اللفظية عند باركس لنتعرف على حيثيات الأساليب التي يعتمد عليها الشاعران لإيصال الرسالة السياسية. نود أن ننوه على أننا لن نطبق كل ما ورد عند باركس في مفهومه للمبارزة اللفظية، فتطبيقاته وتصنيفاته تنطبق على الشعر الغربي، أما شعرنا العربي وإن تشابه مع غيره من أشعار الأمم الأخرى إلا أن له طبيعته الخاصة. ففي بحثنا نأخذ من مفهوم المبارزة العام ما يساعدنا على توفير فهم أفضل لنقائض قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة قبل الإسلام. ونعني بذلك الأساليب العامة التي تشكل الكلام في المبارزة اللفظية عند باركس[*] وهي:

أولا: (التعريف) (Identification): وفيه يفتتح المبارز المبارزة اللفظية بتسمية خصمه. وعادة ما يبدأ المبارز كلامه بهجوم شخصي على خصمه، وفي هذه الحالة يجب أن يكون على معرفة به وبشخصيته (See Parks, 1990: 105). وهذه خاصية في أشعار بعض الأمم، أما في نقائض العرب قبل الإسلام فليس من الضروري أن يذكر الشاعر خصمه، لأن الخصم معروف في معظم الأحيان، والمنازلة الشعرية عند العرب ليست منازلة فردية فالشاعر لسان قومه، ومن يرد عليه في الجهة المقابلة هو أيضا شاعر قومه ولسانهم.

ثانيا: (استدعاء الماضي) (Retrojection): في جو الخصومة

---

[*] كل ما سيرد حول المبارزة اللفظية عند باركس مقتبس من ترجمة حمد العجمي (العجمي، ٢٠١٦: ٣٩١-٣٩٤)

يستدعي المبارز انتصاراته السابقة كي يوحي لخصمه استعداده لمواصلة النصر في المستقبل. فعن طريق استدعاء هذا الماضي يحاول المبارز أن يؤسس سمعة مرموقة له ليحافظ على توازنه في الحاضر. وهذا الأسلوب (استدعاء الماضي) مرتبط بالأسلوب القادم (استشراف المستقبل) (Projection): الذي نجد أنه يعتمد في تحديد مسار المستقبل على ما تم استدعاؤه من الماضي، ويراهن على استمراره. فهذان الأسلوبان (استدعاء الماضي) و(استشراف المستقبل) كما يعتقد باركس، هما أكبر دافع صريح لقضية الخلاف في المبارزة اللفظية. فعرض الماضي في المبارزة اللفظية عادة ما يكون عن طريق استدعاء حدث أو مجموعة أحداث وقعت في حياة أحد المتبارزين أو كليهما، أو حتى في حياة أجدادهما-106 :Parks, 1990). 109)

ثالثا: (استشراف المستقبل) (Projection): في المبارزة اللفظية يقوم المبارز باستشراف المستقبل والإخبار عما سيقوم به، عن طريق التهديد أو الوعيد أو الأمر. ومن الطبيعي في هذا الحالة أن يكون استشراف المستقبل عند كل مبارز مناقض بشكل تام لاستشراف المستقبل عند الآخر من حيث النتيجة ولكنهما متفقان على نوعية التحدي. فعندما يهدد المبارز بمنازلة الخصم وقتله فلن يختلف معه خصمه في المنازلة ولكنه سيختلف معه في نتيجتها (Parks, 1990: 109-110).

رابعا: (الوصف والتقييم) (Attribution- Evaluation): رأينا في أسلوب استدعاء الماضي وأسلوب استشراف المستقبل محاولة تأسيس رواية أو فكرة من خلال حدث في الماضي أو المستقبل. أما أسلوب الوصف والتقييم فيُعنى تحديدا بموقف المبارز وتقييمه في زمن الحاضر لحدث معين، أكثر من فكرة عرض الحدث وترسيخه. فمثلا عندما وصف شاربيدون خصمه هيكتور بالتراجع عن المعركة فهو يقيم هنا خصمه بوصفه جبانا. وفي المبارزة اللفظية الوصف والتقييم هو نوع من أنواع الفخر أو الهجاء ووظيفته هو الرفع أو الحط من قدر المبارز أو قوم المبارز (Parks, 1990: 110-112).

خامسا: (المقارنة) (Comparison): يتداخل هذا الأسلوب مع جميع الأساليب السابقة، وهو أكثر الأساليب استخداما في المبارزة اللفظية، لأنه يجبر الخصم على الرد ورفض المقارنة التي رسمها الأول. فالشاعر المبارز يحاول في كلامه أن ينسب المجد لنفسه وقومه ويحط من قدر خصمه وقوم خصمه مستخدما أحد الأساليب السابقة: التعريف، استدعاء الماضي، استشراف المستقبل، أو الوصف والتقييم. ففي الملحمة الإنجليزية عندما يقول (بيولف) بأن عراكه مع (بريكا) وحش الماء، أعظم من جميع أفعال (أنفرث) الذي رأى بأن (بيولف) خسر المعركة مع الوحش، فهو يقوم بمقارنة ماضيه وماضي الخصم. فهذه مقارنة عن طريق استدعاء الماضي. أما عندما يعلن (بيولف) بأنه سيقتل (جريندل) الوحش الذي فشل (أنفرث) والجميع في التغلب عليه فهو يقوم بمقارنة مستقبله بمستقبل منافسيه بأسلوب يمكن تسميته بالمقارنة الاستشرافية. أي المقارنة المتعلقة باستشراف المستقبل. وهكذا يتداخل أسلوب المقارنة مع أسلوب استدعاء الماضي، واستشراف المستقبل. ومن الممكن أن يمتد لأسلوب الوصف والتقييم. فالهدف من كل كلامه هو أن يصف ويقيم نفسه بوصفه فارسا أفضل من جميع الفرسان المنافسين. وبهذا يكون قد استخدم ما يمكن تسميته بالمقارنة الوصفية والتقييمية (Parks, 1990: 112-114) .

ويمكن تعريف تلك الأساليب بأن الأسلوب الأول (التعريف) يعني بتعريف المتكلم عن نفسه وتسمية خصمه. والأسلوب الثاني (استدعاء الماضي) يمكن تعريفه بأنه الفخر واستعراض المبارز لأفعاله أو أفعال قومه في الماضي. أما الأسلوب الثالث (استشراف المستقبل) فهو الوعيد أو التهديد بما سيقوم به المبارز في المستقبل. ثم الأسلوب الرابع (الوصف والتقييم) ويركز على موقف المنازل في زمن المضارع من حدث في الماضي يحاول استدعاءه للرفع من شأن نفسه والحط من شأن الخصم من غير التركيز على التفاصيل الدقيقة للحدث. أما الأسلوب الخامس(المقارنة) فهو استخدام أي من الأساليب السابقة بطريق المقارنة، فالمتكلم على سبيل المثال يذكر ماضيه أو يستشرف مستقبلا لحدث يخصه بالمقارنة مع ماضي أو مستقبل المنافس.

النموذج الأول نقائض يوم الفضاء:

النقيضة الأولى التي سوف نتناولها في هذا البحث هي قصيدة قيس بن الخطيم التي نظمها بعد يوم الفضاء. والفضاء موضع بالمدينة المنورة حاليا وقد التقى فيه الأوس والخزرج في معركة شديدة بين القبيلتين لم يوقفهما عن القتال إلا حلول الليل. وتاريخ يوم الفضاء ككثير من المعارك قبل الإسلام مضطرب في المصادر ومن الصعب تحديد زمنه، ولكنه بلا شك يعد من أوائل أيام الأوس والخزرج، وهو يسبق بفترة زمنية كبيرة يوم حاطب الذي سنتحدث عنه لاحقا في سياق حديثنا عن النقيضتين التاليتين لابن الخطيم وابن رواحة. أما بالنسبة للغلبة في يوم الفضاء فتذكر معظم المصادر أن الأوس وأحلافها من اليهود قد تفوقت على الخزرج في تلك المعركة. أما سبب معركة الفضاء فمضطرب كاضطراب زمن وقوع المعركة، ولكن يبدو لنا أن الأوس في هذه المعركة كانت تدافع عن ممتلكاتها أو عن نفسها، إذ تذكر المصادر أن الفضاء لبني خطمة من الأوس (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٢٨٣-٢٨٤). فإن صحت ملكية الفضاء للأوس فمن المؤكد أن الخزرج في موضع الهجوم، وإن كانت الأوس قد اجتمعت وأحلافها للحرب فقد قامت بذلك لتذود عن نفسها أو أن الخزرج قد هجمت على الأوس لأن الأوس كانت تدبر تمردا ضد الخزرج. والذي يدل على أن الخزرج هم أصحاب اليد العليا في يثرب ما ذكر حول يوم الفضاء، إذ أقبل الحيان (الأوس والخزرج) على الصلح فأخذوا يعدّون القتلى فوجدوا قتلى الخزرج أكثر من قتلى الأوس، فأعطت الأوس الخزرج غلمانا رهناً عند الخزرج حتى تأتي الأوس بالديات، ولكن الخزرج بادرت بقتل الرهن، فخرجت الأوس للقتال والتقت بالخزرج التي استعدّت هي الأخرى للقتال فاقتتلوا في يوم الربيع (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٢٦٦-٢٦٧). من خلال ما سلف نستطيع أن نستنتج أن الخزرج هجمت على الأوس في دارها ولكن الأوس، وبفضل مساعدة اليهود من قبيلتي قريظة والنضير، تمكنت من حماية نفسها. وتحالُف قريظة والنضير اليهوديتين مع الأوس له دلالة مهمة، فلابد أن هذه

القبائل التي تحالفت ضد الخزرج كلها استشعرت خطر تسلط قبيلة الخزرج عليها فاضطرت للتحالف من باب ضرورة البقاء. وكذلك نستنتج مما سلف، أن الخزرج لها اليد العليا وهي الأقرب للسيطرة على يثرب وإلا كيف تجرأت الخزرج على مهاجمة الأوس في أرضهم "الفضاء" ثم تقتل الرهن؟ فلا بد إذن أن قبيلة الخزرج كانت لها سلطة معينة على يثرب ولعلها قد استشعرت خطرا معينا من تمرد الأوس وأحلافها، وما هجومها عليهم إلا من باب إخماد الثورة والمحافظة على مكانتهم السياسية والاجتماعية.

وقبل أن نبدأ بتحليل نقائض قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة على ضوء مفهوم المبارزة اللفظية نود أن نشير إلى أمرين مهمين: أولا، سوف نحلل في هذه الدراسة النقائض بوصفها خطابات سياسية للقبيلتين الأوس والخزرج. بمعنى آخر، سنعد القصيدة دعاية سياسية أو بمصطلح حديث (بوربغاندا) للقبيلة، لها أهدافها وغاياتها. ونستطيع تعريف الدعاية السياسية كما عرفها جين ديروس إيفان Jane DeRose Evans في العالم الروماني القديم على أنها الجهد الدعائي أو المعلومات التي يبثها مجموعة من الأشخاص المنظمين ليتلقاها جمهور معين لتحقيق هدف معين، لدفع ذلك الجمهور للقيام بعمل ما، أو لتأكيد موقف يرغب بتحقيقه أولئك الأشخاص المنظمين (Evans, 1992: 1). أما الدعاية السياسية بالنسبة لقصائد النقائض فلها أهداف مشابهة لتلك التي أشار إليها إيفان. من تلك الأهداف توحيد الصف بين أبناء القبيلة، وربما تتجاوز ذلك لتأكيد التحالف القائم بين القبيلة والقبائل الأخرى. وكذلك تحتوي الدعاية السياسية للقبيلة قبل الإسلام في حرب الأوس والخزرج على رسالة تؤكد استمرار العداوة مع القبيلة المعادية. أما طريقة انتشار الدعاية السياسية للقبيلة فتكون عن طريق الرواية الشفهية. ورغم تحفظ كثير من الدارسين حول اعتبار الأدب أو الرواية التاريخية شكلا من أشكال الدعاية السياسية إلا أن جين إيفان تعتقد بأن الأدب والرواية التاريخية قد تحوي عناصر من الدعاية السياسية. فترى بأن الأدب الذي يحتوي على محفزات سياسية، قد يكون بروبغاندا من

النوع الأفقي الغير سببي (Evans, 1992: 5). ونحن نتفق مع برهان شاوي في أن القصيدة الجاهلية سواء قصيدة الفخر أو القصيدة المادحة أو النقيضة ما هي إلا نوع من الدعاية السياسية أو (البروبغاندا) السياسية الشخصية أو القبلية (شاوي، ٢٠١٢: ٣٤٩).

ثانيا، من خلال خطاب الشاعرين والوقائع التاريخية بين الأوس والخزرج، وجدنا أن الخزرج هم أهل اليد العليا في يثرب قبل الإسلام. بمعنى آخر، على الرغم من التنافس السياسي بين القبيلتين نستطيع أن نجزم بتفوق الخزرج وقربهم من السيطرة على مقاليد القيادة في يثرب قُبيل الإسلام. هذا لا يعني بأن الخزرج هم أهل السلطة التامة في يثرب، ولا يعني كذلك فشل الأوس في المنافسة على السلطة، ولكننا نجد الخزرج أقرب إلى حالة المسيطر، والأوس أقرب إلى حالة الثائر. فقد عرفنا من خلال كتب التاريخ والأخبار أن عبد الله بن أبي بن سلول كان المؤهل الأبرز لتولي حكم يثرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (ابن كثير، ٢٠١٠: ج٣، ٤٦٧). وعلى الرغم من تناقض الروايات حول أيام الأوس والخزرج في الجاهلية إلا أننا نجد أن الغلبة كانت للخزرج على الأوس في كثير من المعارك. بل إن سبب أكثر المعارك بين القبيلتين هو شعور الأوس بظلم الخزرج (ابن الأثير، ١٩٨٧: ج١، ٥١٩-٥٤١)، فكانت أشبه بالثورات على حاكم مستبد. ويدلل على قولنا هذا افتخار قيس بن الخطيم بحلفاء قبيلته، بعد "معركة السرارة"، في بعض نقائضه مع الخزرج، حتى أن عبد الله بن رواحة، انتقده على ذلك لأنه يفخر بغير قومه (الوصيفي، ٢٠٠٣: ١٠٥). ونجد كذلك في كتب التاريخ التي روت لنا (حرب بعاث)، وهي آخر معركة بين الأوس الخزرج قبل الإسلام، طبيعة الحلف المستمر بين الأوس وقبائل اليهود في يثرب، إذ كانت الأوس تجدد الحلف بينها وبين بعض قبائل اليهود لشن ثورة على أبناء عمومتهم الخزرج (ابن الأثير، ١٩٨٧: ج١، ٥٣٨)، وهذا دليل على شعور الأوس بالضعف والحاجة للأحلاف للاستعانة بهم على القوة الأعظم، وهي قوة الخزرج. ولو نظرنا إلى

بعض الروايات التي يوردها بعض المؤرخين كابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في "البداية والنهاية" لوجدنا أن كلتا القبيلتين الأوس والخزرج كانتا تُسميان بالخزرج، وهذا يدل على تفوق الخزرج من منظور خارجي للقبيلتين (ابن كثير، ٢٠١٠: ج٣، ٤١٧). وإذا ما وضعنا ذلك في الحسبان، فسيساعدنا هذا على فهم الدعاية السياسية في نقائض قيس وعبد الله بن رواحة.

–قال قيس بن الحطيم الأوسي: من الوافر

١)	صَرَمْتَ اليَوْمَ حَبْلَكَ مِن كَنُودَا	لِتُبْدِلَ حَبْلَهَا حَبَلًا جَدِيْدَا
٢)	مِنَ اللَّائِي إِذَا يَمْشِينَ هَوْنًا	تَجَلْبَبْنَ المَجَاسِدَ وَالبُرُوْدَا
٣)	كَأَنَّ بُطُوْنَهُنَّ سُيُوفُ هِنْدٍ	إِذَا مَا هُنَّ زَايَلْنَ الغُمُودَا
٤)	تَبَدَّتْ لِي لِتَقْتُلَنِي فَأَبْدَتْ	مَعَاصِمَ فَخْمَةً مِنْهَا وَجِيْدَا
٥)	وَوَجْهًا خِلْتُهُ لَمَّا بَدَا لِي	غَدَاةَ البَيْنِ دِينارًا نَقِيْدَا
٦)	سَقَيْنَا بِالفَضَاءِ كُؤُوْسَ حَتْفٍ	بَنِي عَوْفٍ وَإِخْوَتَهُمْ تَزِيْدَا
٧)	لَقِيْنَاهُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ	يَقُوْدُ وَرَاءَهُ جَمْعًا عَتِيْدَا
٨)	وَمُشْرِفَةَ التِّلَائِلِ مُضْمَرَاتٍ	طَوَىٰ أَحْشَاءَهَا التَّعْدَاءُ قُوْدَا
٩)	أَكُنْتُمْ تَحْسِبُونَ قِتَالَ قَوْمِي	كَأَكْلِكُمُ الفَعَايَا وَالهَبِيْدَا
١٠)	أَصَابَ القَتْلُ سَاعِدَةَ بْنَ كَعْبٍ	وَغَادَرَ فِي مَجَالِسِهَا قُرُودَا
١١)	وَقَدْ رُدَّ العَزَائِمُ فِي طَرِيْفٍ	وَأَقْيَالٍ يَصُوْغُونَ الحَدِيْدَا
١٢)	وَإِنْ سُيُوْفَنَا ذَهَبَتْ عَلَيْكُمْ	بَنِي شَرِّ الخَنَىٰ مَهَلًا بَعِيْدَا

١٣)	وَيَأْبَىٰ جَمعُكُمْ إِلَّا فِرَارًا	وَيَأْبَىٰ جَمْعُنَا إِلَّا وُرُودَا
١٤)	وَإِنَّ وَعِيْدَنَاكُمْ حِيْنَ نَمْشِي	بِهِنَّ عَلَىٰ المَنُونِ وَلَا وَعِيْدَا
١٥)	أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي كُعَيْبًا	فَهَلْ يَنْهَاكَ لُبُّكَ أَنْ تَعُوْدَا
١٦)	أَرَانِي كُلَّمَا صَدَّرْتُ أَمْرًا	بَنِي الرَّقْعَاءِ حَشَّمَكُمْ صَعُودَا
١٧)	فَمَا أَبْقَتْ سُيُوفُ الأَوْسِ مِنْكُمْ	وَحَدٌّ ظُبَاتِهَا إِلَّا شَرِيْدَا
١٨)	فَلَنْ نَنْفَكَّ تَقْتُلُ مَا حَيِيْنَا	رِجَالَكُمُ وَتَجْعَلَكُمْ عَبِيْدَا

(ابن الخطيم، ١٩٩١: ١٤٥-١٤٩)

نستطيع أن نقسم هذه القصيدة إلى جزئين، فالجزء الأول من البيت ١ إلى البيت ٥ نسيب، ومن البيت رقم ٦ إلى آخر القصيدة يُعد فخرا في الأوس وهجاء للخزرج. يبدأ قيس بن الخطيم قصيدته بمقدمة نسيبية يصف فيها فراق محبوبته "كنود". يقول في البيت الأول بأنه فارق كنود وتبدلت علاقتها معه، ثم يصفها في البيت الثاني بأنها من النساء اللائي يمشين على مهلٍ وقد لبسن الثياب المشبعة بالألوان. ويصف الشاعر في البيت الثالث النساء اللائي يشبهن محبوبته بأنهن ضامرات البطون كأنهن السيوف المسلولة. وفي البيت الرابع والخامس يقول الشاعر بأن محبوبته ظهرت لتقتله ولكن محاولتها هذه ما كانت إلا بإظهار معاصمها الممتلئة وجيدها ووجهها الذي بدا لحظة الفراق كأنه دينار صافٍ.

إن النسيب في هذا القصيدة كما في كثير من القصائد في الشعر الجاهلي ليس بمعزل تام عن الموضوع الرئيس للقصيدة. نحن نعلم بأن النسيب مجرد تعبير مجازي، فلا نقول بأن المحبوبة "كنود" تعني بالضرورة الخزرج، ولكن نستطيع أن نقول بأن فراق المحبوبة يعد وجها من وجوه التعبير عن الفرقة بين القبيلتين بشكل غير مباشر. وقد يبدو من النظرة الأولى أن في هذا

الاستنتاج شيءٌ من المبالغة، ولكننا لن نتعجب من هذا إذا ما نظرنا إلى بعض النقائض الأخرى التي يذكر فيها الشاعر صراحة اسم المحبوبة التي تمُت بصلة مباشرة إلى الشاعر الآخر، إما أن تكون أختا له أو زوجة، كما سنرى في النقيضتين القادمتين. وإذا ما فهمنا بأن النسيب فيه طاقة تعبيرية تمكّن الشاعر من التعبير عن الفراق أو الخصومة بين قبيلته والقبيلة المعادية فهمنا أن كل تلك الصفات التي أسبغها على المحبوبة تصلح أن تكون صفاتا للقبيلة الخصم. فهي من اسمها "كنود" أي كثيرة الجحود، وليس بمستغرب أن يصف الشاعر قبيلة الخزرج بالجحود والنكران. وهي – أي المحبوبة– من طبقة بنات القبيلة المصونات الجميلات اللواتي يلبسن الملابس الفخمة. ولا تتمتع المرأة في ذلك المجتمع بكل هذه الزينة إلا إذا كانت من طبقة بنات القبيلة. وهي تبدّت له لتقتله ولكن سلاحها سلاحٌ ناعم ما هو إلا زينة مما يتزين به النساء. فمن الواضح أن الشاعر حاول أن يستغل موقفه من المحبوبة للتعبير بشكل غير مباشر عن خصومته مع الخزرج.

وفي الأبيات من البيت رقم ٦ إلى البيت رقم ٨ يعتمد الشاعر على أسلوب (استدعاء الماضي) (Retrojection) فيفخر الشاعر بفعل قومه "يوم الفضاء"، ويقول بأنهم سقوا بني عوف وبني تزيد من الخزرج كؤوس الموت، إذ لقيهم الأوس بكل قائد يجر خلفه جمعا قويا من الفرسان على صهوات خيل ممتدة الأعناق، ضامرة البطون من كثرة العدو.

ومن البيت رقم ٩ إلى البيت رقم ١٤ يخاطب الشاعر قبيلة الخزرج مراوحا بين أسلوب (استدعاء الماضي) وأسلوب (الوصف والتقييم) (Attribution- Evaluation)، فيقول في البيت التاسع: أكنتم تعتقدون أن قتال الأوس يشبه أكل "الفغايا" أو أكل "الهبيد" سهلا عليكم تناوله؟ فمن خلال هذا التساؤل يحاول الشاعر إيصال رسالة مفادها أن الأوس ليسوا لقمة سائغة للخزرج. أما في البيت العاشر فيعود الشاعر ليستخدم أسلوب (استدعاء الماضي) في الشطر الأول فيذكر أن القتل في معركة الفضاء قد وقع على بني

ساعدة بن كعب من الخزرج. وفي الشطر الثاني يستخدم أسلوب (الوصف والتقييم) فيصف الأعداء من الخزرج في أرض المعركة وقد غودروا كالقردة أذلّاء. فالشاعر، خاصة في الشطر الثاني، يحاول أن يؤسس للخزرج مكانة اجتماعية وضيعة من خلال وصفهم بالقرود المهزومة.

ويستمر الشاعر في المراوحة بين الأسلوبين، فيستدعي في الشطر الأول من البيت الحادي عشر ما حل بعشيرة طريف من الخزرج وقد رُدّت عزائمهم وتم سلبهم، ثم يستخدم أسلوب (الوصف والتقييم) فيصف الخزرج بعد خسارتهم كالعبيد الذين يعملون على صناعة الحديد. فهو يحاول أن يرسم صورة للمكانة الاجتماعية لرجال الخزرج، فجعل مكانتهم في المدينة كمكانة العبيد. ويستمر الشاعر في البيت الثاني عشر باستكمال وصف مكانة الخزرج فيقول بأن سيوف قومه من الأوس قد أسرفت في المعارك في قتل الخزرج زمنا بعيدا، وهذا مخالف لكل ما لدينا من أخبار حول الأحداث التاريخية، ولكنها دعاية (بروبغاندا) الحرب، إذ يحاول الشاعر في خطابه قلب موازين القوى، فينسب لقومه الانتصارات وينسب لأعدائه الخسائر. أما في البيت الثالث عشر، فيستخدم الشاعر أسلوبا جديدا وهو أسلوب (المقارنة) (Comparison) فيقارن بين رجال الأوس ورجال الخزرج في ميدان المعركة فيقول بأن جيش الخزرج دائما ما يفر، أما جيش الأوس فلا يقبل إلا بالإقدام على الموت. ويعود الشاعر إلى استخدام أسلوب الوصف والتقييم في الأبيات من البيت رقم ١٤ إلى البيت رقم ١٦. فيقول في البيت الرابع عشر مخاطبا الخزرج، بأن وعيدنا لكم عندما نتقدّم للقتال لا يشبهه وعيد. ولا تكمن أهمية هذا البيت في كونه محاولة للرفع من شأن الأوس أمام الخزرج فحسب، بل تتجاوزه إلى ما هو أبعد من ذلك، فلو اعتبرنا القصيدة (بروبغاندا) أو دعاية سياسة فسنعرف من خلال هذا البيت أن الشاعر ما زال يعلن استمرارية التمرد الأوسي للثورة ضد الخزرج. وفي البيت الخامس عشر يوجه خطابا خاصا لكعب، فيقول له هل يردّك عقلك عما تقوم به من محاربة الأوس؟ وهذا البيت له أهمية أخرى لأن "كعيبا" هنا قد يقصد به

أحد قادة الخزرج أو يقصد به جماعة من الخزرج وهم بنو ساعدة بن كعب، وعلى أية حال فقد استخدم أسلوب التصغير ههنا للتحقير والحط من شأن الخزرج عامة، لأن الحط من قدر أحد قادة الخزرج هو حط من مكانة الخزرج عامّة. هذا بالنسبة للشطر الأول، أما الشطر الثاني فهو يوضّح لنا أمرين: الأول، أن الخزرج في حالة اعتداء كما ذكرنا سابقا في المقدمة التاريخية، وثانيا، أن الأوس ما تزال مصرّة على تمردها ضد الخزرج. والبيت القادم رقم ١٦ يؤكد هذا الأمر، إذا نرى الشاعر يقول أكلّما أصدرت أمرا هاج ضدي الخزرج، أبناء الحمقاء. فالشاعر ما يزال في محاولة الحط من مكانة الخزرج، وهذا واضح، لكنه أيضا يبين لنا أن الأمر الذي يصدره قيس أو قبيلة الأوس لابد أن يكون أمرا يثير حفيظة الخزرج، إذ لابد أن يكون هذا الأمر يحمل في ذاته معنى من معاني التمرد ضد الخزرج.

أما في البيت رقم ١٧ فيعود الشاعر إلى أسلوب (استدعاء الماضي) فيقول بأن سيوفنا في معركة الفضاء لم تبق منكم إلا شريدا، وكأنه يذكر الخزرج بهزيمتهم في تلك المعركة، ويمهد للبيت القادم رقم ١٨، إذ يستخدم فيه أسلوبا جديدا من أساليب المبارزة اللفظية، وهو أسلوب (استشراف المستقبل) (Projection) فيقول مخاطبا الخزرج، بأننا لن نتوقف عن قتالكم ما دمنا أحياءً حتى نجعلكم عبيدا. وهنا إشارة لابد من إلقاء الضوء عليها، فالشاعر من خلال الحديث عن المستقبل في هذا الخطاب السياسي يحاول إثبات صمود الأوس ضد محاولات القمع التي يشنّها الخزرج ضد قبيلته. فهو في هذا البيت يؤكد بأن الأوس لن تتوقف عن التمرد ومقاومة الخزرج حتى يصبح الخزرج عبيدا في يثرب. وهذا البيت يلخص فكرة القصيدة، والخطاب السياسي الذي تحمله، فهي –أي القصيدة– فيها أولا، إعلان استمرارية القتال والمقاومة، وثانيا، هي وعيد بمحاولة قلب موازين القوى في يثرب ليصبح الخزرج عبيدا بعد أن كانوا أسيادا.

– قال عبد الله بن رواحة الخزرجي يرد على قيس بن الخطيم الأوسي:

من الوافر

تَذَكَّرَ بَعْدَمَا شَطَّتْ نَجُودَا وَكَانَتْ تَيَمَتْ قَلْبِي وَلِيْدَا

	كَذِي دَاءٍ يُرَىٰ فِي النَّاسِ يَمْشِي	وَيَكْتُمْ دَاءَهُ زَمَنًا عَمِيْدَا
٢)	تَصَيَّدُ عَوْرَةَ الفِتْيَانِ حَتَّىٰ	تَصِيْدَهُمُ وَتُوْشِكُ أَنْ تَصِيْدَا
٣)	فَقَدْ صَادَتْ فُؤَادَكَ يَوْمَ أَبْدَتْ	أَسِيْلًا خدَّهُا صَلْتًا وَجِيْدَا
٤)	تَزِيّنُ مَعْقِدَ اللَّبَّاتِ مِنْهَا	شُنُوفٌ فِي القَلَائِدِ وَالفَرِيْدَا
٥)	فَإِنْ تَضْنُنْ عَلَيْكَ بِمَا لَدَيْهَا	وَتَقْلِبْ وَصْلَ نائلها جَدِيْدَا
٦)	لَعَمْرُكَ مَا يُوَافِقُنِي خَلِيْلٌ	إِذَا مَا كَانَ ذَا خُلْفٍ كَنُودَا
٧)	وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ غَيْرَ فَخْرٍ	إِذَا لَمْ تُلْفِ مَاثِلَةً رَكُوْدَا
٨)	إِذَا مَا وَاجِبُ الأَضْيَافِ أَمْسَىٰ	وَكَانَ قِرَاهُمُ غَثًّا فَصِيْدَا
٩)	بِأَنَّا تَخْرُجُ الشَّتَوَاتُ مِنَّا	إِذَا مَا اسْتَحْكَمَتْ حسَبًا وَجُودَا
١٠)	قُدُورٌ تَغْرَقُ الأَوْصَالُ فِيْهَا	خَضِيْبٌ لَوْنُهَا بِيْضًا وَسُودَا
١١)	وَإِنْ رَسَلٌ تَرَفَّعَ بَعْدَ طُعْمٍ	فَعَادَ لِكَيْ يُعَادَ لَهُ أُعِيْدَا
١٢)	مَتَىٰ مَا تَأْتِ يَثْرِبَ أَوْ تَزُرْهَا	تَجِدْنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا وجُودَا
١٣)	وَأَغْلَظَهَا عَلَىٰ الأَعْدَاءِ رُكْنًا	وَأَلْيَنَهَا لِبَاغِي الخَيْرِ عُوْدَا
١٤)	وَأَخْطَبَهَا إِذَا أَجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ	وَأَصْدَقَهَا وَأَوْفَاهَا عُهُوْدَا

١٥)	إِذَا تُدْعَىٰ لِسَيْبٍ أَوْ لِجَارٍ	فَنَحْنُ الأَكْثَرُوْنَ بِهَا عَدِيْدَا
١٦)	مَتَىٰ مَا تَدْعُ فِي جُشَمَ بْنِ عَوْفٍ	تَجِدْنِي لَا أَغَمَّ وَلَا وَحِيْدَا
١٧)	وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةَ بْنِ عمروٍ	وَتَيْمُ اللاتِ قَدْ لَبِسُوا الحَدِيْدَا
١٨)	زَعَمْتُمْ أَنَّمَا نِلْتُمْ مُلُوكًا	وَنَزْعُمُ أَنَّمَا نِلْنَا عَبِيْدَا
١٩)	وَمَا نَبْغِي مِنَ الأَحْلَافِ وِتْرًا	وَقَدْ نِلْنَا المُسَوَّدَ وَالمَسُوْدَا
٢٠)	وَكَانَ نِسَاؤُكُمْ فِي كُلِّ دَارٍ	يُهرّشْنَ المَعَاصِمَ وَالخُدُوْدَا
٢١)	تَرَكْنَا جَحْجَبَىٰ كَنَبَاتِ فَقْعٍ	وَعَوْفًا فِي مَجَالِسِهَا قُعُودَا
٢٢)	وَرَهْطَ بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ أَبَحْنَا	وَأَوْسَ اللهِ أَتْبَعَنَا ثَمُوْدَا
٢٣)	وَكُنْتُمْ تَدَّعُونَ يَهُودَ مَالًا	أَلَانَ وَجَدْتُمُ فِيْهَا يَهُوْدَا
٢٤)	وَقَدْ رَدُّوا الغَنَائِمَ فِي طَرِيْفٍ	وَنَحَّامٍ وَرَهْطِ أَبِي يَزِيْدَا
٢٥)	تَرَكْنَا مَجْمعًا وَبَنِي أَبِيْهِ	إِمَاءً يَحْتَلِبْنَ الضَّأْنَ سُوْدَا

(ابن رواحة، ١٩٨٨: ١١٧-١١٩)

في الأبيات من البيت رقم ١ إلى البيت رقم ٧ يبدأ عبد الله بن رواحة نقيضته بمقدمة نسيبية يذكر فيها في البيت الأول والثاني اشتياق قلبه لمحبوبته "نجود" التي تيّمت قلبه وذهبت به بعيدا، فأصبح كأنه المريض المصاب بداء يكتمه زمنا طويلا كي لا يلاحظه الناس. في البيت الثالث والرابع والخامس تحديدا يصف ابن رواحة المحبوبة بأنها تمكنت من صيد الفتيان بجمالها من غير عمد منها، فقد صادت فؤاده عندما أبدت خدها الناعم وجبينها الوضّاح وعنقها وصدرها اللذين تزينا بأنواع الحلي. أما في البيتين السادس والسابع فيقول مناجيا نفسه: إن تبخل عليك هذه المحبوبة بوصلها وتغير موقفها تجاهك

فلعمرك لن أصبر على مثل هذه العلاقة مع خليل متقلب جحود في تعامله. إذا ما حاولنا أن نربط بين موضوع النسيب والموضوع الرئيس للقصيدة فإن ذلك الربط يتمثل في كون النسيب يتيح للشاعر أن يعبر عن الخصومة بين قبيلته الخزرج وبين قبيلة الأعداء، حيث إن السخط على المحبوبة يمكن أن يكون معادلا للسخط على الأعداء. والبيتان السادس والسابع يوضحان لنا كيف يدمج الشاعر بين علاقاته الاجتماعية كافة، سواء مع المحبوبة أو أي فرد آخر، فهو بعد أن تحدث عن علاقته المضطربة بمحبوبته يقسم بأنه لن يصبر على أي علاقة مع أي فرد ما دامت تتسم بالاضطراب والنكران. فإذا ما فهمنا هذا الربط استطعنا أن نفهم علاقة موضوع النسيب بالموضوع الرئيس. فعن طريق التعبير عن العلاقة المضطربة مع المحبوبة وموقف الشاعر منها استطاع عبد الله بن رواحة أن ينتقل إلى موقفه من أي علاقة ثم انتقل مباشرة إلى الرد على قيس بن الخطيم.

أما الأبيات من البيت رقم ٨ إلى آخر القصيدة فتمثل الموضوع الرئيس لهذه النقيضة وهو الرد على قصيدة قيس بن الخطيم. ومن الملاحظ أن أسلوب (الوصف والتقييم) قد سيطر على معظم أبيات هذه القصيدة بشكل ملفت، فلم يستخدم الشاعر أسلوب (استشراف المستقبل) على الإطلاق، ولم يستخدم أسلوب (استدعاء الماضي) إلا في ستة أبيات لم يذكر فيها ما حدث في يوم الفضاء بل استخدم الماضي البعيد لما حصل للأوس في أيامهم مع الخزرج. وحتى في استخدام أسلوب (استدعاء الماضي) يقترب أسلوب الشاعر من (أسلوب الوصف والتقييم)، وهذا له دلالة سنناقشها أثناء تحليلنا للقصيدة، لنبين أولا: أن قصيدة قيس بن الخطيم كانت محاولة للحط من مكانة الخزرج التي تفوق مكانة الأوس، وثانيا: أن قصيدة عبد الله بن رواحة وكل ذلك التكثيف لأسلوب (الوصف والتقييم) فيها ما هو إلا محاولة لتأكيد علو مكانة الخزرج وتثبيتا لمكانتها في منطقة يثرب.

يبدأ عبد الله بن رواحة في الموضوع الرئيس مستخدما أسلوب (الوصف

والتقييم) من البيت رقم ٨ إلى البيت رقم ١٨ فيصف قومه بالأجواد في الأبيات من البيت الثامن حتى البيت الثاني عشر، ويفخر بجودهم في تقديم الجفان للضيوف في أوقات الفقر والضيق والشتاء. ويذكر بأن قومه يقدمون القدور مملوءة بأنواع الطعام متعدد الألوان. وهم كذلك يُغنون الفقير الذي جاعت إبله وجفّ الحليب في ضرعها، فيطعمونها حتى يعود فيها الحليب. والتركيز على صفة الجود له أهمية في هذه النقيضة، إذ يحاول الشاعر التأكيد على صفة من صفات السيادة في قومه وهي صفة إطعام الناس في حالات الضيق. فإن كان قيس بن الخطيم قد حاول أن يصف الخزرج بالعبيد الأذلاّء في قصيدته ليسقط عن الخزرج هيبتها وسيادتها، فإن عبد الله بن رواحة من خلال هذه الصفة والصفات الأخرى التي يذكرها في هذه القصيدة يحاول أن يثبّت الخزرج في مكانتهم، مكانة السيادة والهيبة.

ويستكمل الشاعر في الأبيات التالية محاولة إعادة أو تثبيت الخزرج في مكانتهم الاجتماعية عن طريق استخدام أسلوب (الوصف والتقييم) فيقول في الأبيات، من البيت الثالث عشر وحتى البيت السادس عشر، بأنك متى ما زرت يثرب فستجد الخزرج أكرم الناس وأكثرهم جودا فيها. وهم كذلك أشد الناس جانبا على الأعداء وألين الناس جانبا لسائل الخير. فهو إذا يصف قومه الخزرج بالجود والشجاعة وهي صفات من صفات أصحاب القيادة والسؤدد. وبالإضافة إلى ذلك، فالشاعر يجعل قومه أبلغ الناس قولا وأعدلهم حكما وأوفاهم في حفظ العهود. ويفخر الشاعر كذلك بكثرة عدد قومه، وبقدرتهم على أخذ الثأر وإغاثة الجار. فكل هذه الصفات لا تتوافر مجتمعة إلا في قبيلة لها سيادة قوية ومكانة اجتماعية عالية. فالشاعر من خلال هذه الصفات يعيد تقييم قبيلته لينقض قصيدة قيس بن الخطيم ويضع الخزرج في مكانتها الحقيقية بعد أن حاول قيس أن يدمرها بقصيدته.

ويستكمل الشاعر الفخر بذاته ممزوجا بالفخر بقومه في البيتين التاليين البيت رقم ١٧ والبيت رقم ١٨ مستخدما أسلوب (الوصف والتقييم) فيقول بأنك

متى ما تدعُ في جشم بن عوف من الخزرج فلن تجدني مجهول النسب وحيدا لا جماعة لي، فحولي جمع ساعدة بن عمر من الخزرج وكذلك تيم اللات من الخزرج قد لبسوا دروع الحديد مستعدين للحروب. إن الشاعر عن طريق استخدام (الوصف والتقييم) يفخر بنفسه ويضع لنفسه مكانة بين قومه. فهو – إن جاز التعبير– يعد أحد المتحدثين الرسميين باسم قبيلته وهم يعترفون به وعلى استعداد للدفاع عنه. وبذلك يشير الشاعر إلى العقد الاجتماعي المعروف بين الشاعر وقبيلته، إذ من واجبه أن يدافع عن قومه بلسانه، وهم في المقابل يدافعون عنه بسلاحهم. والأهم من ذلك كله هو فخر الشاعر بقدرة قومه على الحرب وحماية سيادتهم الذاتية، حيث لبسوا الدروع واستعدوا لأي غارة أو غزو.

أما في البيت رقم ١٩ فيستخدم الشاعر أسلوبا جديدا وهو أسلوب (المقارنة)، حيث يقارن بين قومه الخزرج وبين أعدائهم الأوس فيقول مخاطبا الأوس: زعمتم أنكم قتلتم منا ملوكا، أما نحن فنزعم بأننا قتلنا عبيدا. وهو هنا يحاول أن يصف قومه بالملوك ويصف الأوس بالعبيد في محاولة لنقض بيت قيس بن الخطيم الأخير الذي يتوعد فيه بقتل الخزرج وجعلهم عبيدا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن أسلوب الشاعرين يوضح لنا أمرا مهمًا، وهو أن الخزرج لهم زمام الأمور في يثرب قبل الإسلام، وأن الأوس تحاول أن تغير موازين هذه المعادلة. فبينما نجد قيس بن الخطيم يتوعد في المستقبل أن يجعل الخزرج عبيدا في المدينة، نجد عبد الله بن رواحة يؤكد مكانة قومه ويضعهم في منزلة الملوك ويجعل مكانة الأوس في موضع العبيد. فيتضح لنا من خلال أسلوب الخطاب الشعري السياسي أي القبيلتين في موضع التمرد والثورة، وأيهما في موضع السيادة ومحاولة قمع الثائر.

ويستأنف الشاعر الفخر بقومه عن طريق استخدام أسلوب (الوصف والتقييم) في البيت رقم ٢٠ إذ يقول بأن قومه لا يريدون ثأرا من الأوس بعد أن نالوا كل شيء (السيد والمسود). وهذا يؤكد لنا بأن الخزرج هي القبيلة المعتدية على الأوس، وكما ذكرنا بأن معركة الفضاء قد حدثت في منطقة الأوس، وإن

صح استنتاجنا بأن تلك الغارة الخزرجية إنما كانت محاولة من الخزرج لإخماد ثورة من ثورات الأوس عليهم، نقول إن صح ذلك كله، فقد يكون في هذا البيت، رقم ٢٠، إشارة إلى أن الخزرج ليست في حاجة لأخذ الثأر من الأوس وأحلافهم الثائرين لأن الخزرج ما زالت تمسك بزمام الأمور في يثرب. وتؤكد الأبيات القادمة على ذلك، إذ يستخدم الشاعر أسلوب (استدعاء الماضي) في الأبيات من البيت رقم ٢١ إلى آخر القصيدة في البيت رقم ٢٦ ليشير بشكل عام إلى حالة الأوس في منطقة يثرب وقد أصبحوا أذلاء لا تقوم لهم قائمة. فيقول في البيت الحادي والعشرين والثاني والعشرين بأن قومه الأوس جعلو نساء الخزرج سبايا يهرشن معاصمهن وخدودهن من الذل والفزع، وكذلك تركوا بني جحجبى الأوسيين كالكمأ الرديء أذلاء، وجعلوا بني عوف من الأوس قعودا خانعين في مجالسهم لا يستطيعون القيام للحرب. ويكمل الشاعر وصف الأوس أسلوب (الوصف والتقييم) ليجردهم من جميع صفات القوة وليضعهم في مكانة ذليلة في البيت الثالث والعشرين حيث يذكر بأن قومه الخزرج قد استباحوا ديار بني أمية من الأوس وكذلك دمروا بني أوس الله من الأوس وأهلكوهم كما أُهلكت ثمود. أما في البيتين الرابع والعشرين والخامس والعشرين فيشير الشاعر إلى تحالف الأوس مع اليهود في يثرب فيقول كنتم تدعون بأن اليهود قد ظفروا ونالوا أموالا فهل وجدتم الآن فيها يهودا؟ بعد أن ردوا جميع الغنائم المستلبة من الخزرج. فهو يستخدم أسلوب (استدعاء الماضي) لينقض كلام قيس حول ظفرهم وأحلافهم بغنائم من الخزرج. ويختم الشاعر ببيت لم يرد في كثير من نسخ القصيدة لكنه بيت ذو أهمية تعادل أهمية الأبيات السابقة، إذ يشير فيه إلى حالة الأوس وقت تُركوا كالإماء أذلاء يعملون في خدمة حلب الضأن.

نلاحظ أن عبد الله بن رواحة يكثر من استخدام (الوصف والتقييم) خاصة في بداية الموضوع الرئيس للنقيضة وكأنه يحاول عن طريق استخدام هذا الأسلوب أن يعيد وصف وتقييم قبيلة الخزرج، بعد أن حاول قيس بن الخطيم أن يحط من مكانتهم في يثرب. فعبد الله بن رواحة يبدأ بإسباغ كل

صفات الكرم والسؤدد على قومه ثم يختم قصيدته باستخدام أسلوب (استدعاء الماضي) ولكنه يستدعي الماضي القديم في أسلوب أقرب إلى أسلوب (الوصف والتقييم)، من غير ذكر لما حدث في يوم الفضاء. وتفسيرنا لذلك أن الخزرج قد هزمت في يوم الفضاء ولم تتمكن من اقتحام ديار الأوس بفضل استبسالهم ومعاونة اليهود لهم. لذلك نجد عبد الله بن رواحة يستدعي الماضي القديم ليؤكد على مكانة الخزرج التي تسيطر على زمام الأمور في يثرب، وليؤكد على استمرار سيادتها. فهي ليست بحاجة لشن غارة أخرى ذلك لأن الأوس رغم تمردها وتعاونها مع اليهود لم تتمكن من قلب الموازين في يثرب واكتفت بالدفاع عن منطقة الفضاء فحسب.

النموذج الثاني: نقائض حرب حاطب:

أما النقيضتان التاليتان فقد نُظمتا في حرب حاطب وهي من آواخر حروب الأوس والخزرج، لذلك رأينا أن ندرس هاتين القصيدتين بعد القصيدتين السابقتين اللتين نُظمتا بعد يوم الفضاء الذي يسبق حرب حاطب. ولكي نتحصل على فهم أفضل للغة الخطاب السياسي في القصيدتين علينا أن نقدم السياق التاريخي لحرب حاطب. وحرب حاطب هذه كانت قد حدثت فيها عدة وقائع بين الأوس والخزرج منها يوم الجسر ويوم الرُبيع ويوم البقيع ويوم الغرس (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٢٧٣). أما سبب اندلاع حرب حاطب فتذكر بعض المصادر أن حاطبا كان رجلا من بني عوف من الأوس، وقد كان رجلا شديدا منيعا، وقد أجار رجلا من بني ثعلبة بن سعد. ثم إن ذلك الضيف خرج إلى سوق بني قينقاع، فأمر رجل من بني الحارث من الخزرج رجلا يهوديا بأن يكسع رداء الثعلبي، فبانت عورته فصرخ مستجيرا بحاطب الأوسي. فجاء حاطب، وقد امتلأ غضبا، فقتل اليهودي. ثم أخبره أحدهم بأن اليهودي ما فعل ذلك إلا بأمر من الرجل الخزرجي. فتوجه حاطب إلى الخزرجي فقتله، ومضى في حال سبيله. وعندما علم بنو الحارث من الخزرج بمقتل صاحبهم توجهوا إلى حاطب فقتلوه، فاندلعت الحرب بين الأوس والخزرج على خلفية هذا

الحدث. فالتقوا في أول يوم من أيام حرب حاطب، وهو يوم الجسر، وكان النصر حليف الخزرج على الأوس (ابن الخطيم، ١٩٩١: ١٩٥-١٩٨).

وعند ابن كثير رواية أخرى عن حرب حاطب ويوم الجسر تجدر الإشارة إليها، حيث تذكر الرواية أن سبب وقوع حرب حاطب أن حاطباً كان سيدا في قومه الأوس، وقد استضاف رجلا من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، ثم إن الذبياني مضى إلى سوق بني قينقاع، فرآه يزيد بن الحارث الخزرجي، فقال يزيد لرجل يهودي: لك ردائي إن كسعت هذا الثعلبي. فأخذ اليهودي رداء الثعلبي وكسعه كسعةً سمعها من بالسوق، فنادى الذبياني بحاطب أن "كُسع ضيفك وفضح". وعندما أُخبر حاطب بذلك، جاء إلى الثعلبي فسأله عمن فعل ذلك به، فأشار إلى اليهودي، فضرب حاطب اليهودي بالسيف ففلق هامته. فعلم يزيد الخزرجي بالخبر، فأسرع خلف حاطب الأوسي فأدركه وقد دخل بيوت الأوس، فلقي يزيد رجلاً من بني معاوية من الأوس فقتله. فثارت الحرب بين الأوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بني الحارث بن الخزرج، ووقعت الحرب عند الجسر، فكان النصر في ذلك اليوم حليفا للخزرج على الأوس. وهذا اليوم من أشهر أيامهم، وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب (ابن الأثير،١٩٨٧: ج١، ٥٣١-٥٣٣).

يتبين لنا من خلال حرب حاطب التي كان يوم الجسر هو شرارة اندلاعها أن سبب الخلاف لم يكن أمرا سطحيا، بل له دلالات عميقة تدل على التنافس على السلطة بين القبيلتين. فإهانة ضيف القائد الأوسي من قبل رجل خزرجي فيه إهانة وتعدٍ على الأوسي وسلطته. وهو كذلك تحد من قبل الخزرجي لهذا الأوسي ليحمي جاره. لهذا رأت الأوسُ ذلك إهانة لها وعدوانا من الخزرج وطعنا بقدرة الأوس على الضيافة والحماية في يثرب. وكأن الخزرجي ينزعج من محاولة الأوسي التسلل للسلطة التي تنص على إكرام الضيف وحمايته. أو كأن قدرة الأوسي على الاستضافة وحماية الضيف فيها تعدٍ على الخزرج أصحاب السيادة أو على الأقل أصحاب اليد العليا في يثرب.

أما اليوم الثاني من أيام حاطب، حسب رأي ابن الأثير، هو يوم الربيع الذي قاتل الأوس والخزرج فيه قتالا شديدا "حتى كاد أن يفني بعضهم بعضا"، وانهزمت الأوس حتى دخلوا بيوتهم وقد تبعتهم الخزرج. فطلب الأوس الصلح ورفضته بعض أحياء الخزرج، ولكن الأوس تمكنوا من تحصين نسائهم وأطفالهم داخل بعض القلاع، ودافعوا عن أنفسهم حتى توقفت الخزرج عن قتالهم (ابن الخطيم، ١٩٩١، ٢٦٥).

هذا بالنسبة لليومين الأولين حسب رواية ابن الأثير، وكانت الهزيمة من نصيب الأوس. أما بالنسبة لليومين الأخيرين يوم البقيع ويوم الغرس، فعلى رغم اضطراب الروايات حولهما، إلا أننا من خلال تلك المصادر نستطيع أن نستنتج أن الظفر كان للأوس. وهذا قد يعطينا إشارة لنرجح أن قيس بن الخطيم لم ينظم قصيدته إلا بعد أحد اليومين الأخيرين لأن الهزيمة كانت على قومه في أول يومين. فلعله نظمها بعد يوم البقيع أو يوم الغرس حيث كان الظفر لقومه على الخزرج.

– قال قيس بن الخطيم الأوسي: من الطويل

١)	أَتَعْرِفُ رَسْماً كَاطِّرَادِ المَذَاهِبِ	لِعَمْرَةَ وَحْشاً غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ
٢)	دِيَارَ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَىٰ مِنىً	تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَائِبِ
٣)	تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ	بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ
٤)	وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَىٰ مِنىً	وَعِهْدِي بِهَا عَذْرَاءَ ذَاتَ ذَوَائِبِ
٥)	وَمِثْلِكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكَنَّةٍ	وَلَا جَارَةٍ وَلَا حَلِيْلَةِ صَاحِبِ
٦)	دَعَوْتُ بَنِي عَوْفٍ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ	فَلَمَّا أَبَوْا سَامَحْتُ فِي حَرْبِ حَاطِبِ
٧)	وَكُنْتُ امْرِءً لَا أَبْعَثُ الحَرْبَ ظَالِماً	فَلَمَّا أَبَوْا أَشْعَلْتُهَا كُلَّ جَانِبِ

٨)	أَرِبْتُ بِدَفْعِ الحَرْبِ حَتَّىٰ رَأَيْتُهَا	عَنِ الدَّفْعِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَقَارُبِ
٩)	فَإِذْ لَمْ يَكُنْ عَنْ غَايَةِ المَوْتِ مَدْفَعٌ	فَأَهْلًا بِهَا إِذْ لَمْ تَزَلْ فِي المَرَاحِبِ
١٠)	فَلَمَّا رَأَيْتُ الحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ	لَبِسْتُ مَعَ البُرْدَيْنِ ثَوْبَ المُحَارِبِ
١١)	مُضَاعَفَةً يَغْشَىٰ الأَنَامِلَ فَضْلُهَا	كَأَنَّ قَتِيْرَيْهَا عُيُونُ الجَنَادِبِ
١٢)	أَتَتْ عُصَبٌ مِ الكَاهِنَيْنِ وَمَالِكٍ	وَثَعْلَبَة الأَثْرِيْنَ رَهْطِ ابْنِ غَالِبِ
١٣)	رِجَالٌ مَتَى يُدْعَوْا إِلَىٰ المَوْتِ يُرْقِلُوا	إِلَيْهِ كَإِرْقَالِ الجِمَالِ المَصَاعِبِ
١٤)	إِذَا فَزِعُوا مَدُّوا إِلَىٰ اللَّيْلِ صَارِخاً	كَمَوْجِ الأَتِيِّ المُزْبِدِ المُتَرَاكِبِ
١٥)	تَرَىٰ قِصَدَ المُرَّانِ تَهْوِي كَأَنَّهَا	تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَوَاطِبِ
١٦)	صَبَحْنَا بِهَا الآطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ	قَوَانِسُ أُوْلَىٰ بَيْضِنَا كَالكَوَاكِبِ
١٧)	لَوَ انَّكَ تُلْقِي حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا	تَدَحْرَجَ عَنْ ذِي سَامِهِ المُتَقَارِبِ
١٨)	إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ أَسْوَا فِرَارِنَا	صُدُودَ الخُدُودِ وَازْوِرَارَ المَنَاكِبِ
١٩)	صُدُودَ الخُدُودِ وَالقَنَا مُتَشَاجِرٌ	وَلَا تَبْرَحُ الأَقْدَامُ عِنْدَ التَّضَارُبِ
٢٠)	إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا	خُطَانَا إِلَىٰ أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ
٢١)	أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيْقَةِ حَاسِرًا	كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لَاعِبِ
٢٢)	وَيَوْمَ بُعَاثٍ أَسْلَمَتْنَا سُيُوفُنَا	إِلَىٰ نَسَبٍ فِي جِذْمِ غَسَّانَ ثَاقِبِ
٢٣)	يُعَرَّيْنَ بِيْضًا حِيْنَ نَلْقَىٰ عَدُوَّنَا	وَيُعْمَدْنَ حُمْرًا نَاحِلَاتِ المَضَارِبِ
٢٤)	أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَمِيرًا نَهَاهُمُ	عَنِ السِّلْمِ حَتَّىٰ كَانَ أَوَّلَ وَاجِبِ

٢٥)	أَوَيْتُ لِعَوْفٍ إِذْ تَقُولُ نِسَاؤُهُمْ	وَيَرْمِينَ دَفْعًا: لَيْتَنَا لَمْ نُحَارِبِ
٢٦)	صَبَحْنَاهُمُ شَهْبَاءَ يَبْرُقُ بَيْضُهَا	تُبِيْنُ خَلَاخِيْلَ النِّسَاءِ الهَوَارِبِ
٢٧)	أَصَابَتْ سَرَاةً مِ الأَغَرِّ سُيُوفُنَا	وَغُوْدِرَ أَوْلَادُ الإِمَاءِ الحَوَاطِبِ
٢٨)	وَمِنَّا الَّذِي آلَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً	عَنِ الخَمْرِ حَتَّى زَارَكُمْ بِالكَتَائِبِ
٢٩)	رَضِيْتُ لَهُمْ إِذْ لَا يَرِيْمُونَ قَعْرَهَا	إِلَىٰ عَازِبِ الأَمْوَالِ إِلَّا بِصَاحِبِ
٣٠)	فَلَوْلَا ذُرَىٰ الآطَامِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ	وَتَرْكُ الفَضَا، شُوْرِكْتُمُ فِي الكَوَاعِبِ
٣١)	فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَاناً نُرِيْدُهُ	لَكُمْ مُحْرِزاً إِلَّا ظُهُورَ المَشَارِبِ
٣٢)	فَهَلَّا لَدَىٰ الحَرْبِ العَوَانِ صَبَرْتُمُ	لِوَقْعَتِنَا وَالْبَأْسُ صَعْبُ المَرَاكِبِ
٣٣)	ظَأَرْنَاكُمُ بِالبِيْضِ حَتَّىٰ لأَنْتُم	أَذَلُّ مِنَ السُّقْبَانِ بَيْنَ الحَلَائِبِ
٣٤)	وَلَمَّا هَبَطْنَا الحَرْثَ قَالَ أَمِيْرُنَا:	حَرَامٌ عَلَيْنَا الخَمْرُ مَا لَمْ نُضَارِبِ
٣٥)	فَسَامَحَهُ مِنَّا رِجَالٌ أَعِزَّةٌ	فَمَا بَرِحُوا حَتَّىٰ أُحِلَّتْ لِشَارِبِ
٣٦)	فَلَيْتَ سُوَيْداً رَاءَ مَنْ جُرَّ مِنْكُمُ	وَمَنْ فَرَّ إِذْ يَحْدُونَهُمْ كَالجَلَائِبِ
٣٧)	فَأُبْنَا إِلَىٰ أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا	وَمَا مَنْ تَرَكْنَا فِي بُعَاثٍ بِآئِبِ
٣٨)	وَغُيِّبْتُ عَنْ يَوْمٍ كَنَتْنِي عَشِيْرَتِي	وَيَوْمُ بُعَاثٍ كَانَ يَوْمَ التَّغَالُبِ

(ابن الخطيم، ١٩٩١: ٧٧-٩٦)

يبدأ قيس بن الخطيم قصيدته بالنسيب من البيت رقم ١ إلى البيت رقم ٥، فيذكر في البيت الأول خلو ديار المحبوبة "عمرة" من أهلها، وبدا رسمها يلوح كأنه زخرفة ذهبية على جلد مبسوط فليس فيه أحد إلا هذا الراكب الذي

وقف فيه. ويكمل الشاعر في البيت الثاني النسيب فيقول بأن تلك الأطلال هي أطلال عمرة التي كادت تجعلنا نحل ونتوقف عندها في منطقة منى لو لم يجدّ القوم في الرحيل وإجبارنا على فراق ديارها. وفي الأبيات من البيت الثالث حتى الخامس يصف الشاعر "عمرة" فيقول بأنها تبدّت لنا كأنها الشمس خلف غيمة، فبدا جانب منها وأخفت جانبا آخر، ولم تكن رؤيتي لها إلا ثلاث ليالٍ في منى وقد رأيتها عذراء ذات شعر طويل. ويخاطب الشاعر عمرة في البيت الخامس فيقول كم قد فُتنت بفتاة عذراء مثلك لم تكن زوجة أخ أو جارة أو زوجة صديق، فهو يترفع أن يدخل في علاقة حب مع المرأة من ذلك النوع.

يمكننا أن نعد مقدمة القصيدة بمثابة (التعريف) الوارد في مفهوم المبارزة اللفظية عند (باركس)، على أن مصطلح (التعريف) عند (باركس) يشمل تعريف الخصم بخصمه وذكر اسمه، إلا أننا نقر بأن النقائض عند العرب فيها اختلافات عديدة تميزها عن غيرها من النقائض في الثقافات الأخرى. ولكن المهم هنا أن الشاعر من خلال ذكر اسم "عمرة" قد أشار إلى خصمه بطريقة غير مباشرة. فعمرة هي أم النعمان بن بشير وأخت الشاعر الخزرجي عبد الله بن رواحة (المنتخب، ١٩٩٣، ج١، ١٩٣)، وقيل أيضا هي زوجة حسان بن ثابت (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٢٦٩-٢٧١). وسواء كانت عمرة أخت عبد الله أو زوجة لحسان فالمهم أنها امرأة من نساء الخزرج، وهذا ما يهمنا في هذه الجزئية. إذ يتضح لنا أولا، كيف يعرف الشاعر بخصمه في بداية القصيدة، وثانيا، يعزز هذا استنتاجنا في تحليل المقدمتين النسبيتين في النقيضتين السابقتين. إذ لا يمكن تجاهل الارتباط بين المقدمة النسيبية والموضوع الرئيس للقصيدة. ويمكننا القول بأن فراق المحبوبة الخزرجية "عمرة" في النسيب يحمل في ذاته طاقة تعبيرية تمهد للشاعر الدخول في فكرة التعبير عن الفراق بين قبيلته الأوس وقبيلة الخصوم الخزرج.

أما من البيت رقم ٦ إلى البيت رقم ١٢ فيستخدم الشاعر أسلوب (استدعاء الماضي) مفتخرا في بعض الأبيات بقوة قومه الأوس وأحلافهم من

قبائل اليهود. لذلك لا تخلو هذا الأبيات من اندماج أسلوب (استدعاء الماضي) مع أسلوب (الوصف والتقييم)، ولكننا نرى أنها تندرج بشكل عام تحت أسلوب (استدعاء الماضي)، لأن الشاعر يشير إلى مواقف قومه وأحلافهم في حادثة محددة وقعت في زمن معين. فيقول الشاعر في الأبيات من السادس وحتى التاسع بأنه دعا الخزرج للسلم وحقن الدماء، فلما رفضوا تابع نضاله ضد الخزرج في بعض حروب حاطب. وهذا يؤكد كلامنا بأن هذه القصيدة نظمت في وقت متأخر من أيام حرب حاطب. لذلك نستطيع القول بأن الأوس بعد انتصارها في أول معركتين طالبت بالصلح ولكن الخزرج أبت ورفضت الصلح، لذلك استمرت الأوس في صمودها ضد الخزرج. ويستمر الشاعر في البيت السابع بوصف ذاته في الحرب –وتجدر الإشارة إلى أن حديث الشاعر بصفته المفردة لا يعني استقلاله عن قومه، فالشاعر كما عرفنا هو لسان قومه وحديثه عن ذاته هنا يعني حديثه عن الأوس بشكل عام– فهو يقول بأنه كان رجلا لا يبدأ بالحرب ظلما، فلما اعتدت عليهم الخزرج، أشعل الحرب في كل جانب. ولعل في هذا البيت إشارة تؤكد صحة الروايات التي ذكرت بأن الخزرج هم من بدأ بإهانة ضيف حاطب الأوسي لذلك اندلعت الحرب. أما في البيت الثامن فيقول الشاعر بأنه حاول أن يتجنب الحرب مع الخزرج، ولكنه كلما حاول تجنبها ازدادت اقترابا. ويكمل المعنى في البيت التاسع فيقول إذا لم يكن هناك طريق لتجنب الموت فنحن لا نخشاه، مشيرا إلى شجاعته وشجاعة قومه الأوس. وفي الأبيات من البيت ١٠ إلى البيت ١٢ يدمج الشاعر بين أسلوبي (استدعاء الماضي) و(الوصف والتقييم)، فيقول في البيت العاشر والحادي عشر بأنه عندما رأى الحرب قد تعرت وبرزت استعد لها، ولبس لها درعا مضاعفة حلقاتها كأن مساميرها عيون الجنادب. أما في البيت الثاني عشر فيشير إلى تحالف قبيلة قريظة والنضير مع الأوس لمواجهة الخزرج في حرب حاطب.

وينتقل الشاعر في الأبيات من البيت رقم ١٣ إلى البيت ١٥ لوصف

جيش الأوس وأحلافهم مستخدما أسلوب (الوصف والتقييم) فيقول في البيت الثالث عشر بأن ذلك الجيش، جيش الأوس وأحلافهم، إذا ما دعي إلى الموت أسرع إليه كإسراع الإبل النشطة التي لم تروّض. وفي البيت الرابع عشر يشبه هذا الجيش إذا فزع إلى الحرب تقدم كأنه موج الفيضان المرتفع. وفي البيت الخامس يشبه كِسَر الرماح عندما يشتبك هذا الجيش مع عدوه، بسعف النخيل المتساقط، إشارة إلى قوة بأس هذا الجيش وصبره في المعارك. فالشاعر عن طريق استخدام أسلوب (الوصف والتقييم) يحاول أن يصف هذا الجيش بالقوة الضاربة ليضعه في مكانة تفوق خصومه في منطقة يثرب. وهو يمهد بهذا الأسلوب إلى استخدام أسلوب (استدعاء الماضي) في الأبيات القادمة ليشيد بفعل قومه في أحد أيام حرب حاطب.

وفي الأبيات من البيت رقم ١٦ إلى آخر القصيدة في البيت رقم ٣٨ يستخدم الشاعر أسلوب (استدعاء الماضي) مع استخدام واحد لأسلوب (المقارنة) في البيت رقم ٣٧. ويستدعي قيس في الأبيات من البيت رقم ١٦ إلى البيت رقم ٢٠ فعل قومه الأوس وأحلافهم في معركة حدثت بالقرب من منطقة مزاحم، إذ يصف بروز قومه للمعركة وقد بدت مقدمات خوذهم كأنها الكواكب عندما أقبلوا على أعدائهم. ثم صور الشاعر التحام قومه بجيش الخصوم التحاما شديدا بحيث لو أُلقي ثمر الحنظل فوق رؤوس المحاربين لما وصل إلى الأرض من شدة الالتحام. ويستمر الشاعر في وصف استبسال قومه في المعركة، فوصفهم بأنهم لا يتزحزحون عن الضرب والطعن في المعركة إلا بصدود وجوههم وميل مناكبهم، إذ ما تزال الرماح يضرب بعضها بعضا وأقدام قومه ثابتة في أرض المعركة. وهذه الأقدام، إن كان السلاح الذي في اليد لا يصل إلى العدو، فإنها –أي الأقدام– تتقدم بهم ببسالة لتصل بهم إلى ضرب العدو.

أما في البيت رقم ٢١ إلى البيت رقم ٣١ فيستدعي الشاعر معارك أخرى ويذكر فعل قومه في يوم الحديقة ويوم بعاث اللذين وقعا بين الأوس والخزرج.

فيقول في البيت الحادي والعشرين بأنه أبلى بلاءً حسنا يوم الحديقة وهو يحارب بسيفه. وتذكر بعض المصادر بأن النبي صلى الله عليه وسلم عندما سمع بهذا البيت سأل عن مصداقية قيس فأكّد بعض الحضور على صدق ما قال (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٢٨١). أما في البيت الثاني والعشرين فيشيد الشاعر بفعل قومه في يوم بعاث، وهذا اليوم تضطرب المصادر كثيرا في تحديد وقته، ولكن معظمها يشير إلى أن هذا اليوم كان آخر أيام الأوس والخزرج قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات (انظر ابن الخطيم، ١٩٩١: ٢٥٣-٢٦٠). فإن صح ذلك التحديد، فإننا نرجح أن تكون هذه القصيدة آخر نقيضة بين قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة، وقد تكون من أواخر النقائض بين الأوس والخزرج. ويستمر الشاعر في استذكار مناقب قومه في يوم بعاث فيذكر في البيت الثالث والعشرين بأن سيوفهم تخرج من أغمادها بيضا ولا تعود إلا وقد خضّبت بالدماء. أما في البيت الرابع والعشرين فيقول بأن بني عوف من الخزرج كادت تتصالح مع الأوس ولكن أميرهم نهاهم عن الصلح، فكان جزاؤه أن كان أول القتلى في ذلك اليوم. وفي البيت الخامس والعشرين يقول الشاعر بأنه أشفق على حالة الخزرج في يوم بعاث عندما ظهر نساؤهم من فوق البيوت يرمين الأوس بالحجارة ويقلن ليتنا لم نحارب. ويستمر الشاعر في ذكر يوم بعاث في البيت السادس والعشرين والسابع والعشرين مستذكرا هجوم قومه الأوس على الخزرج بكتيبة "شهباء" مسلحة سلاحا يبرق لونه، فدفعت هذه الكتيبة نساء الخزرج للهروب، وقتلت سراة الخزرج من بني الأغر بن ثعلبة تحديدا، وتركت من هم دون السراة والسادة مهزومين في أرض المعركة من غير قتل. أما في البيت الثامن والعشرين فيستذكر ذلك القسم الذي أقسمه أحد قادة الأوس بأن يصوم عن الخمر ولا يشربها إلا بعد أن يهدم حصن مزاحم. ولعله يقصد في هذا البيت حضير بن السماك الذي أقسم ألا يشرب الخمر إلا بعد أن يهدم أطم "مزاحم" الذي يمتلكه عبد الله بن أبي الخزرجي (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٩٢). ويستمر الشاعر في البيت التاسع والعشرين باستذكار المكانة

التي ترك فيها الأوس الخزرجَ أذلاّء، فيقول بأنه رضي لهم بأن يبقوا أذلاء لا يرحلون إلى الأماكن البعيدة إلا بحماية من الأوس. أما في الأبيات من البيت رقم ٣٠ إلى البيت رقم ٣٦ فيستذكر الشاعر يوم "الفضاء"، الذي تحدثنا عنه سابقا، فيقول مخاطبا الخزرج لولا تحصنكم وتستركم في الحصون يوم الفضاء لشوركتم في نسائكم، إذ لم تمنعوا منا مكانا نريده إلا الغرف الخاصة بكم. ويستمر الشاعر في مخاطبة الخزرج فيقول: هلا صبرتم في الحرب العوان ضدنا؟ فقد طوعناكم بالسيوف حتى أصبحتم أذل من صغار الإبل التي تتذلل لطلب الحليب من أمهاتها. ويستكمل الشاعر استذكار يوم "الفضاء" عندما نزل الأوس منطقة الحرث وحلف أميرهم ألا يشربوا الخمر حتى ينتصروا على الخزرج، فتبعه رجال الأوس في تلك الحرب حتى انتصروا وأحلوا لأنفسهم شرب الخمر. ويختم الشاعر استذكار يوم الفضاء في البيت السادس والثلاثين فيعود لمخاطبة الخزرج قائلا ليت سويد بن الصامت الأوسي الذي قتله الخزرج (ابن الخطيم، ١٩٩١: ٩٦) رأى ما فعلنا انتقاما له، وقد جركم رجال الأوس كأنكم الجلائب من الحيوانات التي تجر وهي ذليلة.

في البيت رقم ٣٧، وقبل أن ينهي الشاعر قصيدته بالبيت الأخير رقم ٣٨، يستخدم الشاعر أسلوبا جديدا هو أسلوب (المقارنة)، فيقارن بين الأوس والخزرج بُعيد يوم "بعاث" مباشرة. ولا بد من الإشارة إلى أن أسلوب (المقارنة) في المبارزة اللفظية عادة ما يتداخل مع الأساليب الأخرى، وهنا في هذا البيت تداخل مع أسلوب (استذكار الماضي). فالشاعر يقارن بين الأوس وقد عادوا من المعركة في يوم بعاث إلى أبنائهم ونسائهم منتصرين، أما الخزرج فقد تركوا في ساحة المعركة إما قتلى أو أسرى. ويختم الشاعر القصيدة بالعودة إلى الاستخدام الصريح لأسلوب (استذكار الماضي) في البيت رقم ٣٨ فيقول بأنه غاب عن يوم "بعاث" ولكن قبيلته كفته مهمة الحرب فانتصرت على أعدائها. وبينما نجد قصيدة قيس بن الخطيم يغلب عليها أسلوب (استدعاء الماضي) نجد قصيدة عبد الله بن رواحة يغلب عليها أسلوب (الوصف والتقييم) كذلك

توجد بعض الأساليب الأخرى التي لم نرها في قصيدة قيس.

قال عبد الله بن رواحة الخزرجي يرد على قيس بن الخطيم الأوسي: من الطويل

١)	أَشَاقَتْكَ لَيْلَىٰ فِي الخَلِيْطِ المُجَانِبِ	نَعَم فَرَشَاشُ الدَّمْعِ فِي الصَّدْرِ غَالِبِي
٢)	بَكَىٰ إِثْرَ مَنْ شَطَّتْ نَوَاهُ وَلَمْ يَقِفْ	لِحَاجَةِ مَحْزُونٍ شَكَا الحُبَّ نَاصِبِ
٣)	لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّىٰ إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ	وَرَاحَ لَهُ مِنْ هَمِّهِ كُلُّ عَازِبِ
٤)	تَبَيَّنْ فَإِنَّ الحُبَّ يَعْلَقُ مُدْبِرًا	قَدِيمًا إِذَا مَا خُلَّةٌ لَمْ تُصَاقِبِ
٥)	كَسَوْتُ قُتُودِي عِرْمِساً فَنَصَأْتُهَا	تَخُبُّ عَلَىٰ مُسْتَهْلِكَاتٍ لَوَاحِبِ
٦)	تُبَارِي مَطَايَا تُتَّقَىٰ بِعُيُونِهَا	مَخَافَةَ وَقْعِ السَّوْطِ خُوْصَ الحَوَاجِبِ
٧)	إِذَا غُيِّرَتْ أَحْسَابُ قَوْمٍ وَجَدْتَنَا	ذَوِي نَائِلٍ فِيْهَا كِرَامَ المَضَارِبِ
٨)	نُحَامِي عَلَىٰ أَحْسَابِنَا بِتِلَادِنَا	لِمُفْتَقِرٍ أَوْ سَائِلِ الحَقِّ رَاغِبِ
٩)	وَأَعْمَىٰ هَدَتْهُ لِلسَّبِيْلِ حُلُوْمُنَا	وَخَصْمٍ أَقَمْنَا بَعْدَمَا لَجَّ شَاغِبِ
١٠)	وَمُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ تَرَىٰ المَوْتَ وَسْطَهُ	مَشَيْنَا لَهُ مَشْيَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ
١١)	بِخُرْسٍ تَرَىٰ المَاذِيَّ فَوْقَ جُلُودِهِمْ	وَبَيْضًا نِقَاءً مِثْلَ لَوْنِ الكَوَاكِبِ
١٢)	فَهُمْ جُسُرٌ تَحْتَ الدُّرُوْعِ كَأَنَّهُمْ	أُسُودٌ مَتَىٰ تُنْضَ السُيُوفُ تُضَارِبِ
١٣)	مَعَاقِلُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيْهَةٍ	مَعَ الصَّبْرِ مَنْسوبُ السُيُوفِ التَّضَارِبِ
١٤)	فَخُرْتُمْ بِجَمْعٍ زَارَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ	تَغَلْغَلَ حَتَّىٰ دُوفِعُوا بِالرَّوَاجِبِ
١٥)	أَبَاحَ حُصُونًا ثُمَّ صَعَّدَ يَبْتَغِي	مَظِنَّةَ حَيٍّ فِي قُرَيْظَةَ هَارِبِ

(ابن رواحة، ١٩٨٨: ١٢٣-١٢٤).

قبل أن نبدأ بتحليل القصيدة علينا أن ننوه بأن هذه القصيدة وردت في كتاب "المنتخب في محاسن أشعار العرب" المنسوب للثعالبي مع زيادة كبيرة في الأبيات إذ بلغت أبياتها في هذا الكتاب ٤٧ بيتا (المنتخب، ١٩٩٣، ج١، ١٦٥-١٧٠). ونحن سنكتفي بالأبيات الموثقة في ديوان عبد الله بن رواحة لأننا لا نستطيع الوثوق بصحة تلك الأبيات التي تفرد بها كتاب "المنتخب في محاسن أشعار العرب". ومن الجدير بالذكر أن الأبيات التي وردت في الديوان قد وردت كلها في كتاب "المنتخب في محاسن أشعار العرب"، وعلى أية حال فإن اعتمادنا على نسخة الديوان لن يغير في نتائج البحث من حيث دراسة القصيدتين على ضوء مفهوم المبارزة اللفظية ووظائفها. وفي هذه القصيدة استخدم ابن رواحة أسلوب (الوصف والتقييم) لينقض قصيدة قيس بن الخطيم. فكأن ابن الخطيم من خلال وقائع معينة يحاول، أولا، أن يستغل تلك الأحداث التي تفوق فيها الأوس على الخزرج ليشيد بقوة قومه، وثانيا، يحاول أن يعلن استمرار تمرد قومه أو على الأقل صمودهم ضد القوة المتفوقة للخزرج. أما قصيدة عبد الله بن رواحة فجاء أكثرها على أسلوب (الوصف والتقييم) وكأنه يحاول أن يؤكد على قوة قومه الخزرج وسيادتهم واستمرارهم في تولي زمام الأمور في يثرب.

يبدأ عبد الله بن رواحة نقيضته باستخدام أسلوب (التعريف) وهو الأسلوب الذي استخدمه قيس بن الخطيم في قصيدته. فيبدأ قصيدته بالنسيب والتشبيب بليلى مناجيا نفسه ومتسائلا في الشطر الأول من البيت الأول عن اشتياقه لليلى التي ابتعدت عنه ثم يجيب عن ذلك بالإقرار باشتياقه وحزنه على فراقها. ومن الجدير بالذكر أن ليلى هنا كما ورد في الديوان هي ليلى بنت الخطيم أخت قيس (ابن رواحة، ١٩٨٨: ١٢٣)، وكأن عبد الله بن رواحة يريد التعريف بخصمه قيس الذي شبب هو الآخر في بداية قصيدته بعمرة بنت رواحة أخت عبد الله. وبما أن كلا الشاعرين شبب بأخت الآخر، فباستطاعتنا

اعتبار هذه الطريقة وسيلة يعرف كل شاعر من خلالها بخصمه في النقائض. ويستمر الشاعر بالنسيب في البيت الثاني والثالث في ذكر بكائه على من ابتعدت ولم يتمكن من قضاء حوائج الحب، فيشيط به الهم ويأخذه بعيدا كلما اقتربت الشمس من المغيب. ويختم الشاعر موضوعة النسيب في البيت الرابع باستدراك عام حول "الحب"، مشيرا إلى أن الحب يزداد كلما أخذت المحبوبة بالابتعاد.

في هذه الجزئية (النسيب) شبب الشاعر بليلى بنت الخطيم أخت قيس خصم الشاعر عبد الله بن رواحة في هذه النقيضة وذكر ابتعادها وحزنه عليها ثم استدرك في البيت الرابع بأن الحب يزداد كلما ابتعدت المحبوبة، ولا سبيل لعلاجه إلا بالرحيل عنه كما سنرى في البيت الخامس. وإن كنا نستطيع أن نعد التشبيب بليلى بنت الخطيم طريقة من طرق التعريف بالخصم، فبإمكاننا أن نعد التشبيب بها ووصف ابتعادها وجها من وجوه التعبير غير المباشر عن الخصومة أو على الأقل الفرقة بين الحيين قبيلة الأوس وقبيلة الخزرج.

ونستطيع كذلك أن نعد وصف الرحلة والناقة في المقطع القادم وجها من وجوه التعبير عن القوة والقدرة على التحكم بالنفس، وهو بداية تحول الشاعر من استخدام أسلوب (التعريف) إلى استخدام أسلوب (الوصف والتقييم). ففي المقطع الثاني من القصيدة من البيت رقم ٥ إلى بيت رقم ٦، ينتقل الشاعر إلى وصف رحلته وناقته. فيقول في البيتين الخامس والسادس بأنه يزجر ناقته القوية كي تخب به على الطرق الوعرة، تباري مطايا أخرى لرفاقه وتخاف من سياطهم التي تراقبها بعيونها. ومن الملاحظ أن الشاعر استخدم هذه الموضوعة التي لم ترد في نقيضته السابقة ولا في قصيدتي قيس بن الخطيم ليشيد بقوته الشخصية وبقوة رفاقه الذين يمثلون قبيلة الخزرج. إن لدخول هذه الموضوعة في هذه القصيدة دلالة تستحق الملاحظة، فقد أشار بعض الدارسين إلى القصيدة التقليدية ثلاثية الأقسام والتي تحتوي على موضوع الرحلة في منتصفها بأنها

قصيدة عادة ما تعكس ببنيتها التقليدية البنية الثابتة والتقليدية للمجتمع الجاهلي، وتعكس كذلك محاولة الشاعر تعزيز الانتماء لهذا المجتمع. فعن طريق إعلان الفراق بينه وبين المحبوبة في موضوعة النسيب، تأتي موضوعة الرحلة بمثابة وسيلة لإعلان التحول السيكولوجي من حالة نفسية مضطربة ليصل إلى حالة نفسية ثابتة تفتخر وتعتز بانتمائها للقبيلة (See S. Stetkevych, chapter1). وبذلك يمكننا عد هذه الموضوعة وسيلة استغلها الشاعر ليفتخر بقوته الشخصية وقوة قبيلته مستخدما أسلوب (الوصف والتقييم) ليمهد للفخر الصريح في القسم الثالث والأخير.

يصل الشاعر إلى الموضوع الرئيس من البيت رقم ٧ إلى البيت الأخير رقم ١٥ وهو الفخر بقومه لينقض قصيدة قيس بن الخطيم. ونحن نستطيع أن نقول بأن أسلوب (الوصف والتقييم) يهيمن على جميع هذه الأبيات على الرغم من أن فخر الشاعر بقومه يراوح بين الحاضر واستدعاء الماضي، إلا أن الماضي الذي يذكره لا يمكن أن نطلق عليه أسلوب (استدعاء الماضي) لأن الشاعر لا يخصص حادثة معينة في الماضي ليستدعيها، ولكنه يذكر الماضي بشكل عام ليعزز مكانة قومه في الوقت الراهن للقصيدة. ومن الجدير بالذكر أن الشاعر يركز على خصال معينة في فخره، وهذه الخصال لا تليق إلا بأصحاب السؤدد والسلطة، مثل الجود والحلم والشجاعة والقوة. فكل الأبيات تتضافر لترسم للخزرج منزلة القبيلة ذات السيادة والعلو في يثرب. يقول ابن رواحة في البيت السابع والثامن بأن قومه لا تتغير خصالهم الكريمة إذا ما تغيرت خصال غيرهم، فهم ثابتون في منزلتهم الكريمة يدافعون عنها بكل ما يملكون، فينفقون على الفقير والسائل اللاجئ إليهم. فمن الواضح أن الشاعر من خلال هذين البيتين يحاول أن يؤسس للخزرج صورة تبين أن لهم سيادة وقوة، لذلك يأوي إليها السائل والفقير. ويكمل الشاعر الفخر بقوة قومه في البيت التاسع فيقول كم من جاهل عفونا عنه فاهتدى إلى الطريق الصواب، وكم من

خصم متمرد أخضعناه وأقعدناه بعد أن كان يلج بالشغب. أما في البيت العاشر، فيستدعي الشاعر الماضي ولكن بصيغة التنكير، فهو لا يشير إلى معركة معينة بل يشير إلى ماضي قومه في المعارك بشكل عام، فيقول رب معركة شديدة ترى الموت وسطها تقدمنا إليها باندفاع كما تندفع الإبل غير المروضة. والشاعر في هذا البيت والأبيات القادمة على الرغم من أنه يستخدم أسلوب الماضي إلا أن هذا الأسلوب يعد ضمن أسلوب (الوصف والتقييم) لأنه، باستدعاء ذلك الماضي، لا يحدد حادثة بعينها بل يستخدم ذلك الأسلوب لوصف وتقييم حالة قومة في الزمن المضارع. فيصف الشاعر قوة جيش قبيلته الخزرج في الأبيات من البيت ١١ إلى البيت ١٣ بقوله إن جيش الخزرج عظيم يلبس الحديد ويحمل السيوف الحديدية الصافية من أي معادن ضعيفة، فهم شجعان تحت الدروع كأنهم الأسود تحارب متى بدأت المعركة، وليس لهم ملجأ في المعارك إلا السيوف الصارمة، والصبر عند القتال.

ويختم الشاعر قصيدته في البيت الرابع عشر والخامس عشر مخاطبا الأوس قائلا لهم قد انكسرتم أمام جمع الخزرج الذي هجم عليكم في دياركم، وتغلغل حتى دوفعوا بأصابع الأيدي. وقد اقتحم الحصون ثم تابع هجومه في بعض الأماكن المرتفعة يلاحق حي قريظة من اليهود. ومن الجدير بالإشارة هنا، أن محقق الديوان قد كتب أول كلمة في البيت الرابع عشر هكذا (فَخَرتم) وهذا التشكيل يخلُ بالمعنى ولعل الصحيح هو (فَخُرتم) كما كتبها محقق "المنتخب في محاسن أشعار العرب" (المنتخب، ١٩٩٣: ج١، ١٦٧). وبهذا الشكل يكتمل المعنى في القصيدة وينسجم البيت مع بقية الأبيات التي استخدم الشاعر فيها أسلوب (الوصف والتقييم) ليؤكد على تفوق الخزرج على أعدائهم الأوس.

نلاحظ من خلال تحليل النقيضتين السابقتين أن أسلوب استدعاء الماضي قد غلب على قصيدة قيس بن الخطيم الذي حاول أن يستغل بعض

المعارك المحددة ليرفع من شأن قبيلته أولا، ثم ليعلن استمرار تمرد الأوس ثانيا. أما قصيدة عبد الله بن رواحة فقد غلب عليها أسلوب (الوصف والتقييم) بشكل واضح، فهو لا يشير إلى حادثة بعينها لكنه يشير إلى انتصارات عامة ليؤكد تفوق الخزرج واستمرار سيادتهم على يثرب وما حولها متجاهلا ذكر الأحداث التي ذكرها قيس بن الخطيم.

خاتمة:

طرحنا في هذه الدراسة فرضية أن اليد العليا في يثرب كانت لقبيلة الخزرج، أما الأوس فكانت حروبهم مع الخزرج أشبه بالثورات لإعلان التمرد على سلطة الخزرج. كما حاولنا تفنيد ما ذهبنا إليه مستعينين ببعض الروايات التاريخية للوقائع بين الأوس والخزرج، وثانيا، بالتركيز على بعض الأبيات التي تؤيد الفرضية. وبتطبيق مفهوم المبارزة اللفظية والدعاية السياسية توصلنا إلى أن قصيدة قيس بن الخطيم تمثل خطاب الثوار (الأوس وحلفائهم من قبائل اليهود). أما قصيدة عبد الله بن رواحة فتمثل خطاب الجماعة التي تمتلك السلطة وزمام الأمور.

من خلال خطاب الشاعرين والأحداث والوقائع التاريخية بين الأوس والخزرج، نستطيع أن نستنتج بأن الخزرج هم أهل اليد العليا في يثرب قبل الإسلام رغم التنافس السياسي بين القبيلتين. وهذا لا يعني بأن الخزرج هم أهل السلطة التامة في يثرب ولا يعني كذلك فشل الأوس في المنافسة على السلطة، ولكننا نجد الخزرج أقرب إلى حالة المسيطر، والأوس أقرب إلى حالة الثائر.

لاحظنا في هذه الدراسة بأن أسلوب (استدعاء الماضي) قد غلب على قصائد قيس بن الخطيم، وكأنه كان يحاول أن يستدعي أحداثا معينة تفوقت فيها الأوس، للحط من مكانة الخزرج السياسية في يثرب لإعلان التمرد واستمرار ثورة الأوس وأحلافهم. كما لاحظنا بأن عبد الله بن رواحة ركز على

(أسلوب الوصف والتقييم) من خلال التركيز على بعض الصفات في قومه الخزرج، محاولا عن طريق الفخر بتلك الصفات التي لا تتوافر مجتمعة إلا في أهل السيادة والقوة، التأكيد على مكانة قومه في يثرب. فإن كان قيس بن الخطيم قد حاول أن يصف الخزرج بأوصاف دونية في قصيدته ليسقط عن الخزرج هيبتها وسيادتها، فإن عبد الله بن رواحة من خلال الفخر بجود قومه، وشجاعتهم، وكثرتهم وبلاغتهم يحاول أن يثبّت الخزرج في مكانتهم، مكانة السيادة والهيبة.

قائمة المراجع:

- ابن الأثير، علي بن محمد. (١٩٨٧). الكامل في التاريخ. تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي. (الجزء الأول). الطبعة الأولى. (بيروت، لبنان). دار الكتب العلمية.
- ابن الخطيم، قيس. (١٩٩١). ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق ناصر الدين الأسد. الطبعة الثالثة. (بيروت، لبنان). الطبعة الثالثة. دار صادر.
- ابن رواحة، عبد الله. (١٩٨٨). ديوان عبد الله بن رواحة. تحقيق وليد قصاب. الطبعة الثانية. (عمان، الأردن). دار ضياء للنشر والتوزيع.
- ابن كثير، إسماعيل. (٢٠١٠). البداية والنهاية. تحقيق مأمون محمد الصاغرجي. راجعه عبد القادر الأرناؤوط وبشار معروف. (الجزء الثالث). الطبعة الثانية. (دمشق وبيروت). دار ابن كثير.
- الشايب، أحمد. (١٩٦٦). تاريخ النقائض في الشعر العربي. الطبعة الثالثة. (القاهرة، مصر)، مكتبة النهضة المصرية.
- العجمي، حمد عبيد. (٢٠١٦). حرب الكلام وكلام الحرب: نقائض قيس بن الخطيم وحسان بن ثابت قبل الإسلام. مجلة كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. العدد (٩٨). ص ص ٣٨٩-٤٢٦.
- المنتخب في محاسن أشعار العرب. (١٩٩٣). صنعه مؤلف مجهول. تحقيق عادل سليمان جمال. (الجزء الأول). الطبعة الأولى. (القاهرة، مصر). مكتبة الخانجي.
- الوصيفي، عبد الرحمن محمد. (٢٠٠٣). النقائض في الشعر الجاهلي. الطبعة الثالثة. (القاهرة، مصر). مكتبة الآداب.
- شاوي، برهان. (٢٠١٢). الدعاية والاتصال الجماهيري عبر التاريخ. الطبعة الأولى. (بيروت، لبنان). دار الفارابي.
- علي، محمد زروق الحسن. (٢٠١٣). نقائض العباس بن مرداس وخفاف

بن ندبة السلمي: دراسة وصفية تحليلية. مجلة كلية الآداب. جامعة أم درمان الإسلامية. العدد (٦). ص ص٣٧٧-٤٣٣.

- عيسى، عبد الرحيم محمود أحمد حسن. (٢٠٠٦). نقائض الأوس والخزرج: دراسة موضوعية فنية، (رسالة ماجستير) جامعة صنعاء، كلية اللغات، قسم اللغة العربية والترجمة.

قائمة المراجع الأجنبية:

Abulfaraj, Hussain. (2012). Omayyad Poetry as a Verbal Duel, Ph.D., INDIANA UNIVERSITY.

Evans, Jane DeRose. (1992). The Art of Persuasion: Political Propaganda from Aeneas to Brutus. (Ann Arbor, United States of America). The University of Michigan Press.

Parks, Ward. (1990). Verbal Dueling in Heroic Narrative: The Homeric and Old English Traditions. (Princeton, New Jersey, United States of America). Princeton University Press.

Stetkevych, Suzanne Pinckney. (1993). The Mute Immortals Speak: Pre-Islamic Poetry and The Poetics of Ritual. (Ithaca). Cornell University Press.